(31-32)

الدولة الفلسطينية في السياسة الخارجية الامريكية

رؤيا الرئيس بوش بين الحلم والكابوس

قد يكون الكثيرون من الصهاينة انزعجوا عندما استمعوا إلى خطاب الرئيس بوش يوم 24/6/2002 وهو يقول: (من أجل مصلحة الإنسانية لا بد من تغير الأمور في الشرق الأوسط... ورؤيتي هي دولتان تعيشان جنبا إلى جنب في سلام وأمن) (1).

كما ان الكثيرين من الفلسطينيين فرحوا مع مطلع الخطاب ولكن استمرار تفشي تلك الرؤيا ومتطلباتها جعل الأمور أكثر وضوحا. فالرؤيا ليست من عند الله. وانما هي وهم صهيوني يبحث عن طريق يهدف إلى تحقيق الحلم القديم "من الفرات إلى النيل أرضك يا إسرائيل" ولم يتورع الرئيس بوش ان يعلن انه ما قام بغزو العراق الا من أجل مصلحة إسرائيل وحمايتها. وان شارون مدينا له بذلك. وأن الدولة الفلسطينية التي بدأت الدوائر الاستراتيجية الأمريكية تمهد لها مباشرة بعد خطاب بوش أصبحت الآن قيد التنفيذ بعد مرور أكثر من عام على انطلاقها.. وعبورها خارطة طريق الدمار الشامل.

كان مجلس الامن فد اصدر قراره رقم 1397 في آذار2002 باقتراح امريكي قبل اعلان بوش رويا‌ه حيث نص الفرار كما يلي: **(إن مجلس الأمن،**

إذ يشير الى جميع قراراته السابقة ذات الصلة، ولا سيما القرارين 242 (1967) و338 (1973) ،

وإذ يؤكد رؤية تتوخى منطقة تعيش فيها دولتان، إسرائيل وفلسطين، جنباً الى جنب ضمن حدود آمنة ومعترف بها،

وإذ يساوره بالغ القلق إزاء استمرار أحداث العنف المأساوية التي وقعت منذ أيلول/سبتمبر، 2000، وبخاصة الهجمات الأخيرة وتزايد عدد الإصابات،

وإذ يشدد على ضرورة أن تكفل جميع الأطراف المعنية سلامة المدنيين،

وإذ يشدد أيضاً على ضرورة احترام قواعد القانون الإنساني الدولي المعترف بها عالمياً،

وإذ يرحب بالجهود الدبلوماسية للمبعوثين الخاصين للولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الروسي، والاتحاد الأوروبي، والمنسق الخاص للأمم المتحدة، الرامية الى تحقيق سلام شامل وعادل ودائم في الشرق الأوسط، **وإذ يشجعهم** على بذل هذه الجهود،

وإذ يرحب بمساهمة الأمير عبدالله ولي عهد المملكة العربية السعودية،

1. **يطالب** بالوقف الفوري لجميع أعمال العنف، بما في ذلك جميع أعمال الإ رهاب والا ستفزاز والتحريض والتدمير،
2. **يدعو** الجانبين الإ سرائيلي والفلسطيني وقادتهما الى التعاون في تنفيذ خطة عمل تينيت وتوصيات تقرير ميتشل بهدف استئناف المفاوضات بشأن التوصل الى تسوية سياسية،

3. **يعرب** عن تأييده لجهود الأمين العام والجهات الأخرى الرامية الى مساعدة الطرفين على وقف العنف واستئناف عملية السلام.

ما يفوح من روائح دوائر القرار الأمريكي للتنفيذ الفوري للرؤيا يجد جذوره الواضحة ونصوصه الصريحة في خطاب الرئيس بوش يوم 24/6/2002

(السلام يتطلب قيادة فلسطينية جديدة ومختلفة حتى يمكن للدولة الفلسطينية ان تولد) (2)

هذا ما قاله الرئيس بوش والذي يترجم اليوم من خلال الحديث عن مشكلة ازدواجية السلطة لدى الشعب الفلسطيني في محاولة الفصل وإحداث الشرخ بين ما يسمونه الصراع بين منظمة التحرير الفلسطينية وبرنامجها الثوري. وبين السلطة الوطنية وبرنامجها. المعتدل وتحاول الإدارة الامريكية أن تمارس نشاطاتها على أساس حسم الصراع لصالح برنامج بقبل الاملاءات الإسرائيلية المتعنتة، ويتم إدخال السم الصهيوني في دسم الدولة الفلسطينية من أجل القضاء على الحركة الوطنية الفلسطينية الموحدة التي تمثلها منظمة التحرير الفلسطينية وقوى المجتمع المدني الفلسطيني والقوى الوطنية والإسلامية في فلسطين.

لقد كان تسليط أضواء الدعاية الصهيونية على الأخ أبو عمار لانه رفض الانصياع لمطالب أمريكا وإسرائيل بإضرام نار الحرب الأهلية الفلسطينية او التنازل عن الثوابت الوطنية. ورفضه لإدانة حق الانتفاضة والمقاومة ضد الاحتلال والإرهاب الصهيوني. وأعلن بوش في خطابه انه (يدعو الشعب الفلسطيني إلى انتخاب قادة جدد لا يساومون باستخدام الإرهاب) (3).

كانت ردة فعل الشارع الفلسطيني الرفض الحاسم لمقولات بوش. والتأكيد على التمسك بالقيادة الشرعية المنتخبة التي يمثلها الأخ أبو عمار الرئيس المنتخب مباشرة للسلطة الوطنية، والرئيس المنتخب من المجلس الوطني لرئاسة اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ولدولة فلسطينية.

واعتمد شارون على كلمات بوش المؤيدة له بالقيام بكل جرائمه تحت عنوان حق الدفاع عن النفس. وقام باقتحام المقاطعة حيث تضيق الحصار على الأخ أبو عمار إلى حد اعلان نوايا رئيس الأركان الجديد يعلون بتدمير المقاطعة على رأس من فيها.

كانت ليلة 20 أيلول 2002.. ليلة فرض فيها الشعب الفلسطيني إرادته بتكريس انتخابه للأخ أبو عمار رئيسا للسلطة الوطنية ورمزا وطنيا شرعيا لمسيرة الحركة الوطنية الثورية الفلسطينية. كانت الجموع التي تحركت عند منتصف الليل لتحيط بالمقاطعة بالآلاف تؤكد للعالم زيف الديمقراطية الأمريكية. وكان التراجع الأمريكي الذي احتاج إلى وضع الاستراتيجية الراهنة. استراتيجية تهميش الرئيس عرفات ومحاولة حسم الصراع لصالح رئيس الوزراء. معتقدين ان الأخ أبو مازن يمكن أن يلعب دورا تابعا مطيعا للأوامر الأمريكية. ومن خلال ما تحمله الإمكانيات الأمريكية من بناء جسور بين مرتشين ومستسلمين يقبلون بالدولة المسخ المتصلة كانتوناتها من خلال أنابيب الأنفاق أو بالونات الجسور الواهية.

وتقوم الخطة الأمريكية بعد ان قطعت خارطة الطريق شوطا طويلا في التزام فلسطيني من جانب واحد.. وانتهاك صارخ من الجانب الإسرائيلي لكل ما في خارطة الطريق من التزامات إسرائيلية واستحقاقات فلسطينية على الشكل التالي:

1. اقامة دولة فلسطينية خلال عام 2005 او قبل ذلك بحيث تكون بدون حدود ودون الاهتمام بالتوصل إلى حل لقضايا الوضع الدائم. ودون الاعتماد على موقف إسرائيلي ملتزم بالشرعية الدولية على صعيد المستوطنات او القدس او حق العودة.
2. ستستقر السلطة السياسية في هذه الدولة في مؤسسات الحكومة وانها وحدها التي ستستلم

المساعدات وتوزعها وتكون سيطرتها الكاملة على جميع الوزارات وخاصة وزارتي المالية والداخلية ويكون رئيس الوزراء هو السيد المطلق في التنفيذ.

3. سيتم الغاء منصب الرئيس او تحويله إلى رمز فخري وتحجيم إمكانيات النهوض بدوره كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية التي يجب ان تختفي.

4. سيكون رئيس الوزراء مسيطرا على تعيين الدبلوماسيين والسفراء في الخارج والصرف على البعثات والسفارات.

5. تكون التعيينات في المناصب الهامة والمفصلية سواء في الداخل او الخارج بيد رئيس الوزراء بوصفه المسؤول الوحيد عن السياسة الخارجية للسلطة الوطنية على طريق إقامة الدولة. ويتطلب تقوية مؤسسات السلطة والسيطرة تعيين أشخاص أقوياء سياسيا وغير ملتزمين ببرنامج منظمة التحرير. كما يتطلب إقالة أو الايحال على المعاش لأشخاص الحرس القديم الموالي لمنظمة التحرير ولحركة فتح. وتستعد الإدارة لترشيح أشخاص مناسبين لتولي المناصب الحساسة.

6. ستقوم الولايات المتحدة بتقوية المؤسسات الفلسطينية الحكومية من خلال المساعدات الاقتصادية والإنسانية الموجهة بحيث تكافئ الأصدقاء. وتعاقب الأعداء وستقوم الولايات المتحدة، بخلق فرص عمل ووظائف لإنعاش وازدهار الاقتصاد وتعزيز وتقوية اذرع الأمن المتخلفة التي ستقضي على بؤر الإرهاب.

7. تعتقد الإدارة الأمريكية ان خطتها المنبثقة من رؤيا الرئيس بوش- ستحقق الحلم الفلسطيني بتقرير المصير وقيام الدولة. وفي نفس الوقت فانها تستجيب لمطالب إسرائيل وخاصة أهداف شارون الحالم بتحطيم عرفات وإزالة الحركة الوطنية الفلسطينية العسكرية الموحدة والمعارضة للمشروع الصهيوني.

8. تنطلق الإدارة الأمريكية بان التغير في بنية القيادة الفلسطينية نحو الاعتدال سيجبر إسرائيل بالمقابل على الاعتدال بعد ان تكون قد تخلصت من برنامج م. ت. ف وكذلك من خطر العراق.

9. ويراهن الأمريكان على تبني الأخ أبو مازن لخطتهم الجهنمية باعتباره احد مؤسسي فتح ويشكل الجسر بين القيادة القديمة المتطرفة والقيادات الشابة المعتدلة التي ستساعدها الإدارة في تسلم السلطة عام 2004 ويشير بعض المراقبين في الإدارة ان محاولة استقالة أبو مازن من منصبه في حركة فتح يرتبط بشكل مباشر بخطة الإدارة الهادفة إلى دفع أبو مازن لتشكيل حزب جديد يقوم على انقاض حركة فتح الثورية التي يريدونها ان تتلاشى مع منظمة التحرير بعد انبثاق الدولة الجديدة الممولة جيدا والتي ستجذب كوادر وأعضاء فتح إلى أحضان الطبقة الحاكمة الجديدة.

10. تعتقد الإدارة ان أبو مازن قادر على وقف التيار المتطرف في حماس والجهاد دون اللجوء إلى تفكيك البنى التحتية بالقوة وانما بجلبهم نحو المشروع السياسي الأمريكي الجديد وخاصة بعد ان تكون فتح قد ضعفت وتكون الحكومة قد استطاعت السيطرة.وهو اعتقاد لا ينسجم مع تطلعات شارون الهادفة الى إشعال نار الحرب الأهلية التي يرفضها ابو مازن بشكل مطلق.

11. ستطلب الإدارة الأمريكية من الحكومة الإسرائيلية أن تقوم بعملية استفتاء حول الدولة الفلسطينية فقط دون التطرق لحدودها ولا لذكر القدس او المستوطنات او اللاجئين (4).

هذه الملامح البارزة للخطة تأتي انسجاما مع رؤيا الرئيس بوش والأهداف التي دفعته لاستحضار هذه الرؤيا ووضع كل الشروط التي تجعل منها خدمة للحركة الصهيونية وتدميرا للحركة الوطنية الفلسطينية.فقد جاء في خطابه ما يلي:

(اذا قام الشعب الفلسطيني بنشاط لمتابعة هذه الأهداف فان أمريكا والعالم سوف يدعم جهودهم بنشاطه... واذا حقق الشعب الفلسطيني هذه الأهداف فانهم سيكونون قادرين على التوصل إلى اتفاق مع إسرائيل ومع مصر والاردن على الأمن والترتيبات الأخرى من اجل الاستقلال) (5).

ويؤكد بوش ان رؤياه لا تتحقق مجانا وانما بشروطه وهي نفس شروط شارون (عندما يصبح للشعب الفلسطيني قيادة جديدة مختلفة، ومؤسسات جديدة، وترتيبات أمنية جديدة مع جيرانهم، فان الولايات المتحدة ستدعم انشاء دولة فلسطينية تكون حدودها ومظاهر سيادتها مؤقتة حتى يتم حلها كجزء من التسوية الشاملة في الشرق الأوسط) (6).

وشارون يرى ان ذلك الحل يحتاج إلى عقود وعقود وستظهر رؤيا بوش على حقيقتها كابوس على صدر الشرق الأوسط.

وعلى الرغم من محاولة بوش الاستعانة بالدول والهيئات لتحقيق رؤياه على خارطة الطريق، فقد استطاع شارون ان يقطع الطريق أمام الخارطة من خلال سلسلة تحفظات على الخارطة. إضافة إلى قاطع الطريق العملي على الخارطة وهو سور النهب والضم والفصل العنصري. هذا الواقع الواضح. والمؤامرة المفضوحة التي لا تحتاج إلى شرح او تفصيل هي التي استدعت استنهاض الواقع الوطني النضالي وعدم التسليم للمخططات الإمبريالية الصهيونية فهي ليست قدرا وهي ليست جديدة فهي مستمرة مع بداية القرن الماضي ولا يزال شعبنا، شعب الجبارين قادرا على مواجهتها وتحديها والصمود في وجهها وإجهاض جبروت قوتها وهيمنتها بالإرادة الوطنية الثورية الشعبية التي لا تلين ولا تستكين. ولكنها في هذه المرحلة بحاجة إلى المزيد من الحرص والسمو على الذات والتمسك بالقيم التي تغلب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة. فالإغراءات وسياسة الترغيب والترهيب التي استطاعت أمريكا ان تنجح في تطبيقها لدى بعض الشعوب والحكومات لا يمكن لها ان تنجح على ارض البطولات والرباط وخاصة أن الصحوة من كبوة الاختلافات قد أعطت زخما واضحا للوحدة الوطنية وللموقف الوطني النضالي الذي يعرض نفسه على العالم بشكل واضح من خلال الهدنة بان الشعب الفلسطيني والقيادة الفلسطينية يتمسكان بحق تقرير المصير وبتحقيق السلام على أساس قرارات الشرعية الدولية وان القيادة الفلسطينية برئاسة الأخ أبو عمار هي القيادة الملتزمة بمسيرة السلام وهي التي يجب على العالم أن يتمسك بها وليس بقيادة الكيان الصهيوني الراهنة التي يمثلها شارون سفاح صبرا وشاتيلا. وقبية ونحالين ومخيم جنين ورفح.. الخ. فالذي يستوجب ان تكون له قيادة جديدة ومختلفة هو المجتمع الإسرائيلي وليس الشعب الفلسطيني الذي يعزز اليوم قيادته الجماعية من خلال تعزيز اطر منظمة التحرير الفلسطينية بإطار القيادة الوطنية الموحدة التي تضم جميع القوى الوطنية والإسلامية وقوى المجتمع المدني إلى جانب السلطة الوطنية ومنظمة التحرير الفلسطينية.يقول الكثيرون ان شارون ليس لديه مشروع سياسي.. وهذا الموقف ينطلق من فهمهم لمشروع يمكن الاتفاق عليه مع الشعب الفلسطيني والقيادة الفلسطينية. ولكن الحقيقة تؤكد انه صاحب مشروع سياسي متكامل.. لا يمكن تحقيقه بالمفاوضات الندية وانما بالاكراه. ففي الوقت الذي لم يستطع الاخ ابو عمار الموافقة على مقترحات كلنتون التي تعطي الانطباع الخادع على الانسحاب من 95 % من مساحة الضفة الغربية في حين هي في الحقيقة تقتطع من الضفة 18 % التي هي المساحة من البحر الميت واصبع اللطرون والمنطقة الحرام والقدس فتكون ال95 % من ال 88 % وتساوي 77 % فقط من مساحة الضفة الغربية. وهذه المساحة معرضة للنقص من خلال المطالبة باقتطاع 5 % تأجير 3 % لمدة 999 سنة ليبقى فقط 69 % وهي تشكل مساحة المناطق التي تم الانسحاب الكامل او الجزئي منها A-B وتعادل 42 % اضافة الى 27% لتشكل اربعة كانتونات معزولة عن بعضها البعض ثلاثة في الضفة الغربية والرابع في قطاع غزة.

هذا العرض لم يكن فرصة ذهبية كما يدعي البعض، وخاصة اولئك الذين يعتقدون ان ما يطرحه

شارون من سياسة القوة هو قدر لا بد منه. فمشروع شارون السياسي يقوم على الاكتفاء بما يتم الانسحاب منه وهو 42 % مع بعض التحسينات على ان تبقى القضايا الخاصة بالوضع النهائي خاضعة للمفاوضات في مرحلة انتقالية طويلة الامد وخاضعة لمواقف شارون والليكود ولارائهم المعهودة.

لقد استطاع باراك ومن بعده شارون إجتذاب الانتفاضة الشعبية الى ساحة المواجهة العسكرية حيث يغيب التكافؤ. فالانتفاضة باعتبارها تعبيرا عن ضمير الشعب بهيئاته المدنية والرسمية وقواه الوطنية والا سلامية، التي ترفض المساس بالثوابت الوطنية وتسعى لكسب الرأي العام العالمي والعربي والاسلامي، وكذلك الرأي العام الاسرائيلي الذي يدفع ثمن حماقات شارون وباراك. ومن الضروري هنا التأكيد على ان الانتفاضة الشعبية والفعاليات المدنية السلمية تتكامل مع حق المقاومة المشروع لانهاء الاحتلال والاستيطان وخاصة في المناطق التي تقرها الشرعية الدولية كمناطق محتلة، عليها تقوم الدولة الفلسطينية بما فيها عاصمتها القدس المباركة في حدود الرابع من حزيران 1967.

اخذ التصعيد العسكري الاسرائيلي ضد الانتفاضة وفعالياتها المدنية اتجاها يفرض ردود الفعل العسكرية، سواء ضد الجيش او المستوطنين او المدنيين في الاراضي المحتلة عام 1948 واصبحت العسكرة هي الطابع الغالب في المواجهة. وتراجعت الفعاليات والمشاركات الشعبية في كثير من المناطق. وتحول الوطن الى ساحة قتال ومواجهة عسكرية غير متكافئة، دفعت العدو الى السيطرة الكاملة على الطرق وتقطيع الوطن الى اشلاء، ظانا انه بهذا يمكن ان يكسر ارادة الشعب الفلسطيني. وقد استمر الصمود والمقاومة والانتفاضة رغم كل ظروف الحصار والقتل والدمار واغتيالات الكوادر والقيادات واعادة احتلال لمناطق (A) والسيطرة على كل مفترقات الطرق. ولكن مثل هذه المحاولات لم تفت من عضد الشعب الفلسطيني وسلطته الوطنية وقدرتها على الصمود والتصدي. وظل شارون الذي حظي برعاية خاصة من حكومة بوش، فالضوء الاخضر الذي طلبه لانجاز مهمة تدجين الشعب الفلسطيني والسلطة في المئة يوم الاولى من حكمه تحولت الى شمس خضراء ساطعة ليلا ونهارا والى اجل غير مسمى، وخاصة بعد تبني الادارة الاميركية ومبعوثوها لأحجية السبعة ايام الهادئة التي كان شارون قادرا باستمرار على خرقها من خلال استدراج ردود الفعل. وعلى الرغم من مرور اكثر من اسبوع بل اسابيع هدوء من الجانب الفلسطيني انضباطا من جميع القوى لنداء الاخ ابو عمار بوقف اطلاق النار. الا ان شارون رفض الاعتراف بذلك، واستمر في ابتكار اساليب الاستدراج التى وصلت الى حد انفجار احداث مبهمة تحمل بصمات المخابرات الاسرائيلية. وقد حاول شارون ركوب موجة رد الفعل الاميركي بعد احداث 11 سبتمبر، ولكن حاجة الادارة الاميركية للموقف العربي والاسلامي ضيع عليه الفرصة الى حين استطاع الاميركان وحلفاؤهم تحويل الحرب في افغانستان الى نزهة قصف جنوني بدون خسائر تذكر من الجانب المعتدي وخسائر لا تحصى من الابرياء الافغان.

كانت الانفجارات في القدس وحيفا والتي جاءت في توقيت لم يكن باستطاعة شيطان شارون ان يحدد مثله، حيث استطاع شارون بعده استقطاب الموقف الاميركي، المنحاز اصلا، الى درجة التسليم لشارون بكل ما يريد وما يستطيع فعله دون حدود.

كان الجنرال زيني مبعوث الرئيس الاميركي ووزير خارجيته في المنطقة. وكان شارون في الولايات المتحدة على ابواب اللقاء مع الرئيس بوش. وكانت الحرب ضد الارهاب في افغانستان اسهل من ان تحتاج الى موقف عربي او اسلامي فاستعاد شارون وصف حالته بالنسبة لاميركا التي رفضت بعد احداث 11 سبتمبر وهو ان ياسر عرفات هو بن لادن وان السلطة هي طالبان. وانه الحليف الوحيد لاميركا في محاربة الارهاب.

لقد لعبت التعددية السياسية في الساحة الفلسطينية دورا فاعلا في تحقيق الوحدة الوطنية بما يخدم الانتفاضة وفعالياتها المدنية والجماهيرية وتظل دائما ضرورة حتمية لمعركة الانتصار الحتمي. ولكن

حالة التعددية العسكرية (وحارة كل من ايده اله) على ظهر سفينة يتلاطمها الموج، جعل الموقف الفلسطيني امام اختلال النظام العالمي الجديد صعب التجاوز. فالعمل الذي يستهدف المدنيين حتى ولو كان من اعمال المقاومة المشروعة يظل في حساب الارهابيين امثال شارون وبوش هو الارهاب. فارهاب الدولة المنظم هو الارهاب الشرعي والقانوني. اما المقاومة والدفاع عن النفس فهو في نظرهم الارهاب. الامر الذي وصل الى حد ادراج اسماء قوى فلسطينية مجاهدة ومناضلة على قائمة الارهاب مثل حماس والجهاد والجبهة الشعبية.. وتطالب اميركا بكل وقاحة اعتبار كل الاجنحة العسكرية للحركات خارجة عن القانون.

اصبح موقف السلطة محرجا عندما تحول شارون وابواق دعايته تصب جام اتهاماتها على الاخ ابو عمار. الذي كان الجنرال زيني قد ابلغه في زيارته الاولى انه يحضر الى المنطقة بوصفه مبعوثا من الرئيس بوش ومن وزير الخارجية كولن باول، وليس من اجل وقف اطلاق النار فحسب. وانما من اجل وضع الرؤية (VISION) الاميركية التي اعلنها الرئيس بوش والوزير باول حول الدولة الفلسطينية التي ستكون انت رئيسها موضع التنفيذ. ولكن جولة زيني الثانية جاءت في ظل انفجارات جديدة ومن ضمنها موضوع سفينة السلاح التي استولى عليها الاسرائيليون على بعد 500 كم جنوب ايلات في البحر الاحمر والادعاء بانها اسلحة للسلطة الوطنية التي لا تتيح الاتفاقيات المعقودة بين الطرفين ادخالها الى مناطق السلطة. وعلى الرغم من رفض السلطة الوطنية رسميا للاتهامات واتخاذها الاجراءات التي تؤكد نفي اي علاقة لها بالسفينة، الا ان المنطقية تفرض علينا التساؤل حول الا لتزام بالاتفاقيات. من المنطقي ان الاتفاقيات تفرض هيمنة استراتيجية السلام على الطرفين.. ولكن اعتماد الجانب الاسرائيلي استراتيجية الحرب التي تنسجم مع امكانياته وقدراته ومع نفسية حاكمه السفاح شارون. فان الجانب الفلسطيني ظل يعلن بلسان الاخ ابو عمار عن تمسكه الراسخ باستراتيجية السلام. ولا يعني التمسك بهذه الاستراتيجية ان تتحول الى حالة استسلام بدون دفاع. ولذلك فان الانتفاضة والمقاومة هي جزء لا يتجزأ من عملية الحفاظ على استراتيجية السلام، فالاتفاقيات التي لم يعترف بها شارون يوما.. والممارسات التي وصلت الى حد استخدام كل انواع الاسلحة، بما فيها المحرم دوليا، هي خرق سافر للاتفاقيات اكثر من السعي للحصول على اسلحة للدفاع عن النفس. ان من حق الشعب الفلسطيني وقواه الوطنية والا سلامية واجنحتها العسكرية التي يجب ان تعمل ضمن اطار وحدة واحدة لتحدد الردود والعمل المناسب في الزمان والمكان، بما يخدم الحفاظ علىالمصلحة الوطنية العليا. ومن حقها الحصول على الاسلحة الدفاعية بكل الطرق والوسائل المتاحة. فنحن لا نستطيع الدخول في مسابقة نحو توازن عسكري استراتيجي مع الكيان الصهيوني المدجج بترسانة الا سلحة الاميركية من الصاروخ حتى النووي.واذا كانت سياسة شارون العسكرية الراهنة هي سد الطريق امام اي تعايش مستقبلي بين الانسان الاسرائيلي والانسان الفلسطيني على ارض فلسطين من خلال تكريس زرع الاحقاد والكراهية، فان استراتيجية السلام الفلسطينية تفرض عدم استهداف المدنيين انطلاقا من القيم التي نتحلى بها، والتي رسخها الرسول (صلعم) وخلفاؤه الراشدون الذين كانت تعليماتهم تركز على عدم قتل شيخ او امرأة او طفل او اسير، وعدم قطع شجرة او قتل دابة. فللحرب العادلة اخلاقها، وللعدوان بشاعته التي لا يجوز الاقتداء بها. ان حصول المقاومة الفلسطينية على الاسلحة القادرة على صد العدوان ليس فقط شرعيا، وانما هو ضرورة. فالطائرات والدبابات التي تشكل مصدر قوة العدوان تقتضي الحصول على المضادات لها. اما صواريخ الكاتيوشا او اي اسلحة تتوجه نحو اهداف مدنية فهي لا تدخل في نطاق الحاجة الضرورية. فالدفاع حق مشروع للسلطة الوطنية وللدولة الفلسطينية التي لا يجوز بحال من الاحوال ان تكون منزوعة السلاح الا اذا كان يمكن للانسان ان يكون منزوع الضمير.

لقد استثمر شارون والادارة الاميركية موضوع السفينة، واصبح التركيز ينصب على شخص الرئيس ياسر عرفات. واصبحت الفرصة مواتية بالنسبة لشارون لتصفية حسابات مر عليها عشرون عاما

يوم خرج من معركة صمود بيروت موصوما بالارهاب، مطرودا من وزارة الدفاع بسبب صمود ياسر عرفات والقوات المشتركة الفلسطينية واللبنانية.

مع وصول الجنرال زيني في جولته الاخيرة للتعامل مع الواقع وجد ان الجانب الاسرائيلي قد حدد استراتيجيته العسكرية ضمن خيارين قدمهما مجلس الامن القومي الاسرائيلي للقيادة السياسية:

الاول: التعامل مع الرئيس عرفات باعتباره غير مؤهل للتوصل معه الى اي اتفاق. والدعوة لعدم المساس به شخصيا بشكل مباشر، واعتماد سيناريو الضغط التدريجي الذي يدفعه للخروج من المناطق، وعدم السماح له بالعودة، ليتحول في الخارج الى حاكم دمية او يتم استبداله بمن هو اكثر واقعية واقل تمسكا بالثوابت.

ويدعو الخيار الثاني الى ممارسة ضغط مستمر على رئيس السلطة بالتنسيق مع الولايات المتحدة على افتراض ان عرفات لن يتبنى قرارا استراتيجيا بمحاربة الارهاب، وانما يقوم باجراءات تكتيكية قد تؤدي الى هدوء نسبي. واذا تم تخفيض العنف بما فيه الكفاية، فان اسرائيل ستكون قادرة على فرض اتفاقية انتقالية مع عرفات وانتظار المسار الطبيعي للاحداث للمتابعة مع قيادة جديدة في وقت لاحق.) (7)

ويبدو ان شارون قد استبعد الخيار الاول كليا. حيث ان تجربته بعد اخراج ياسر عرفات من بيروت اثبتت ان الاخير استطاع استقطاب القوى العربية والاسلامية وتفجير انتفاضة كبرى في الضفة والقطاع. اما الان فان اخراجه من المناطق لن يضعف الانتفاضة والمقاومة وانما قد يؤججها. ويبدو ان الخيار الثاني هو الذي يشكل استراتيجية شارون للتعامل مع الاخ ابو عمار ومع السلطة الوطنية.

هذه الاستراتيجية العدوانية تقوم اساسا بالتنسيق مع الولايات المتحدة التي لا تريد انهاء وتدمير السلطة الوطنية بشكل كامل. وهي لا تريد المساس بشخص ياسر عرفات..

وهي تعطي شارون الضوء الاخضر الساطع لممارسة الضغط المستمر والمتدرج والذي يعبر عن خطة جهنم المتدحرجة بنارها على المناطق واحدة بعد الاخرى.

واعتقد شارون الذي وقفت دباباته على بعد امتار من مقر الاخ ابو عمار انه يستطيع كسر ارادته وارادة شعب الجبارين الذي ينتسب ابو عمار اليه. واعتقد ان مزيدا من الضغط على الشعب يمكن ان يحرضه ضد قيادته السياسية المتصلبة التي يمثلها ويقودها الاخ ابو عمار. ولكن المد الجماهيري والشعبي الذي عبر عن تمسكه بزعيمه وقائده ورمز نضاله جعل خطة شارون تتغير الى الحد الذي اصبح مخططه يقوم على ما يلي:

- اولا: ابقاء ابو عمار تحت مرمى البنادق الاسرائيلية، وليس فقط المدافع والصواريخ والطائرات.
- ثانيا: القيام بالمهمات المطلوبة من السلطة الوطنية والتي لا يستطيع رئيس السلطة ان يقوم بتنفيذها تحت مبدأ الحفاظ على الوحدة الوطنية، وخشيته من الحرب الاهلية التي هي اهم خيارات شارون لتحقيق اهدافه الاستراتيجية.
- ثالثا: اعادة احتلال مناطق (A) حيث اصبحت لا تثير اهتمام الاميركان او حتى الحكام العرب المجاورين لفلسطين. والعمل على اعتقال او تصفية الناشطين في الانتفاضة والمقاومة.
- رابعا:احكام السيطرة على المناطق بحيث يصبح معظمها في حكم الاراضي المحتلة بحيث لا يبقى تحت سيطرة السلطة الوطنية من اجل التنفس سوى مساحة لا تتجاوز 5 -10 % من مناطق (A) وعندها يكون المشروع الشاروني الذي يعده بيريز وتوافق عليه الولايات المتحدة بما فيه من وعود

وضمانات كاذبة ينطلق من:

1. التوقيع على اتفاق جديد يتجاوز ويلغي كل الاتفاقيات السابقة وينطلق من نفس مرجعية السلام قرارات الشرعية الدولية ومبدأ الارض مقابل السلام وقرارات مجلس الامن 242،338.
2. يتم الاتفاق على اعلان قيام الدولة الفلسطينية المستقلة على الاراضي التي تقع في المناطق (A+B) بعد الانسحاب الكامل عنها واعتبارها الحدود المؤقتة للدولة الفلسطينية وتضم كل قطاع غزة + 42% من مساحة الضفة الغربية.
3. يتم الاتفاق على وضع برنامج زمني لمرحلة انتقالية يتم فيها التفاوض حول قضايا الوضع النهائي.
4. يتعهد الاميركان بان تكون الحدود النهائية بعد المرحلة الانتقالية هو الرابع من حزيران وحسب ما يتم الاتفاق عليه بالتفاوض وكذلك قضية القدس.
5. يتم وقف كل اشكال العنف والانتفاضة والتحريض.

هذه البنود التي اعتبر الاميركان والا سرائيليون انها من المؤكد مرفوضة في حينه، الا انهم يتوقعون ان تصبح مطلبا جماهيريا قد يدفع الرئيس عرفات الى قبوله تحت شعارات وتبريرات يمهد لها الكثيرون ممن يهيؤون انفسهم لوراثته. واذا كان شارون واضحا في خصاله وطبائعه العدوانية وجموحه العسكري وغطرسة القوة، فان ياسر عرفات اكثر وضوحا في تمسكه بالثوابت وبمحافظته على الحقوق الوطنية التي اقرتها الشرعية الدولية. ولهذا فان مخطط شارون والاميركان، ان وصل الى نقطة الحسم فانه لا بد سيواجه صخرة صمود ياسر عرفات. ولكن.. هل نترك هذا المخطط يمضي الى حد اقتحام الحصن الاخير هكذا؟ وكأنه القدر!! جواب الانتفاضة والمقاومة.. لا يجوزذلك. ولا يمكن ان يترك الثور الشاروني الهائج ليحطم متحف الخزف التاريخي للشعب الفلسطيني. فقرون الثور الهائج تنسيه انه يكسر في نفس الوقت خزف المجتمع الاسرائيلي الذي يحلم بالسلام والاستقرار الذي ذاق بعض حلاوته في مرحلة التعايش النسبي التي انفتحت فيها آفاق العالم العربي القريب والبعيد للتجار والسياح الاسرائيليين في مصر والاردن والمغرب وفي قطر وعمان..

خارطة الطريق.. الى أين؟!

البدائل تطرح تساؤلا عن مدى جدية الولايات المتحدة في التوصل الى حل لازمة الشرق الاوسط. ففي الوقت الذي يفترض فيه ان تكون خارطة الطريق واضحة محددة الملامح مترابطة الامكنة والأزمنة، نرى انها وهي تدرك الهدف المباشر تدور حوله في دوامة مفرغة وبعيدا عن طوبوغرافيا الارض.فمحاولة الالتفاف على الدور التاريخي للاخ ابو عمار المتمترس خلف ركام المقاطعة ورماد العنقاء ما هي الا اغراق في الغموض المدمر الذي يفقد خارطة الطريق اتجاهاتها. فالشمال الجغرافي في الخارطة منحرف نحو مصر فيصبح لبنان جنوب القدس وتصبح بغداد غربا ويتوه الربان بيرنز الباحث عن رأس الرجاء الصالح في سيبريا.

لقد امضت كوانزاليسا رايس اكثر من ساعتين وهي تشرح لشارون تفاصيل الطريق.. وكان يناقش مراحلها الثلاث.. وخطواتها وجدولها الزمني العام.. ثم يصرح انها لا تتلاءم مع مصلحة اسرائيل وأمنها. وانه ليس في عجلة من امره ليضعها على طاولة التنفيذ. ان الخارطة التي وضعت بالاتفاق بين

الفريق الرباعي المشكل من الولايات المتحدة وروسيا وأوروبا والأمم المتحدة تجعل من الصعب على السلطة الوطنية رفضها على الرغم من كل ما تحتويه من غموض وإجحاف، وخاصة ان تجربة الشعب الفلسطيني مع ضمانات الادارات الاميركية المتتابعة هي تجربة اكثر من مريرة. ولكن قبولها على علاتها يعني التراجع عن ثوابت كانت مرفوضة في كامب ديفيد وطابا.. وخاصة ما يتعلق بالتسويات الجزئية المؤقتة والتدخلات في امور الاصلاح الخاصة التي تظهر بوضوح انها كلمات حق يراد بها باطل.

لقد ادرك شارون من خلال لقائه مع الرئيس بوش اهمية الدور الاسرائيلي في دعم الولايات المتحدة في مشروعها للهيمنة على نفط العراق تحت عنوان اسلحة الدمار الشامل. وان هذا الامر يقتضي عدم الوقوع في خطأ استغلال الهجمة الاميركية البريطانية على العراق عسكريا او سياسيا لتنفيذ اعمال من شأنها أن تضر بالاستراتيجية الامركية. كان شارون يطمح في ان يصل الى تنسيق المواقف مع بوش عشية الحرب ضد العراق وخاصة ان اسرائيل هي الدولة الوحيدة التي تعلن تأييدها لهذه الحرب، وتسعى للدخول والمشاركة الفعالة فيها الى جانب الولايات المتحدة وانجلترا.وشارون لا يريد عودة الى مسار اوسلو الذي اعلن عن الغائه ولا يريد الاعتراف بمرجعية السلام التي وضعت في مدريد على اساس قراري مجلس الامن 242، 338 ومبدأ الارض مقابل السلام. ويريد من عدم المشاركة في الحرب ضد العراق ان تطلق يده لإعادة احتلال قطاع غزة بالكامل وتكثيف التهجير القسري الفلسطيني وفرض وقائع على الارض في ظل انهيار عربي شامل.

خارطة الطريق بالنسبة لشارون هي سهم واضح مصوب نحو بغداد وصدام حسين والنظام العراقي القومي المعادي للكيان الصهيوني. وهو ابعد ما يكون عن اتجاه القدس، التي هي بالنسبة له كما هي للكونغرس الاميركي العاصمة الابدية للكيان الصهيوني. وعلى الرغم من وضوح هذه الخارطة فانه يعتقد ان رفضها والتحفظ عليها سيجعل صورتها اجمل لدى بعض السياسيين الفلسطينيين الذين يرحبون بقبول ما يتحفظ عليه شارون او ما يرفضه. ولكنه يدرك جيدا انه لن يتعامل مع هذه الخارطة بجدية اكثر مما تعامل مع تقرير ميتشل وخطة تنت. فالوصفة بالنسبة له جاهزة لتعطيل أي مبادرة تقترب من المساس بالمستوطنات، وخاصة بعد الفتوى التي اصدرها الحاخام الاكبر بتحريم ازالة المستوطنات من ارض اسرائيل التي تعني بالنسبة له ارض فلسطين التاريخية كلها.

بالنسبة للاخ ابو عمار، الذي يعيش محاصرا مع الثوابت الوطنية الفلسطينية ومع اطواق السلامة الشعبية التي تصنع برموشها وشغاف قلوبها شبكة الامن والأمان له ولمن معه من الصامدين، يدرك جيدا ان خارطة الطريق مصممة اميركيا واسرائيليا لاتجاهين نحو بغداد ذهابا ومن بغداد الى فلسطين ايابا.. والمؤامرة مركبة تستهدف منظمة التحرير الفلسطينية وحركة فتح التي صمدت في وجه المخطط الصهيوني اربعين عاما ولا تزال متمسكة بالثوابت الوطنية. ويدرك جيدا، كما يعبر عن ذلك في نصائحه من اجل توخي الحيطة والحذر بقوله: (نحن مستهدفون من حكومة شارون المدعومة اميركيا عندما تتوجه الادارة الاميركية بالهجوم على بغداد. وكذلك وهي في طريق عودتها من بغداد والحفاظ على الذات والمكتسبات الوطنية امور هامة من اجل ضمان الاستمرار وحصاد المستقبل) (8).

هوامش

1. بوش "HYPERLINK "http://www.whitehouse.gov/news/releases/2002/06/20020624-3.html
2. www.whitehouse.gov/news/releases/2002/06/20020624
3. المصدر السابق
4. المصدر السابق
5. تقرير خاص للاخ ابو عمار من صديق
6. بوش مصدر سابق
7. المصدر السابق
8. الوف بن هـآرتس 5/1/2002
9. الاخ ابو عمار خلال اجتماع قيادي